أحوال كفار مكة عند استماع القرآن الكريم

إعـــداد

دكتور/ يوسف أبو علي أحمد عبادي

مدرس التفسير وعلوم القرآن الكريم

كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان - جامعة الأزهر

المقدمة

الحمد لله الذي جعلنا من خدم كتابه الكريم، والصلاة والسلام على نبي الله الصادق الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد،

فإن القرآن الكريم هو حبل الله الممدود، وصراطه المستقيم، وحجته الكبرى، ونوره المبين .. إنه دستور الحياة، من استفاد به أبصر ونجا، ومن أعرض عنه زل وهوى، فضائله لا تحصى، ومعجزاته لا تستقصى، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[1].

وقد كان للكفار المكيين الكثير من الأحوالا العجيبة، والمواقف المتعددة، والغريبة من سماع القرآن الكريم، وجميع هذه الأحوال والمواقف -بحمد الله تعالى- من هؤلاء الكفار تحمل في طياقا شهادات متعددة على عظمة هذا القرآن، وربانية مصدره، وعلى عجز أولئك العرب الفصحاء عن معارضته.

وقد حاولت في هذا البحث تتبع مواقفهم هذه من خلال عرض الآيات المكية لهذا الموضوع، وبخاصة تلك الآيات القرآنية المصرح فيها بسماع القرآن الكريم، أو تلاوقا عليهم، وأوردت عدداً من الأحاديث، والآثار التي ظهر من خلالهما حال هؤلاء الكفار عندما كانوا يستمعون إلى النبي ﷺ، أو إلى أحد أصحابه رضي الله عنهم، وهم يقرءون القرآن.

هذا .... ولم أذكر في هذ البحث ما للنضر بن الحارث من أحوال ومواقف تجاه القرآن الكريم؛ فقد فاقت عداوته -قبحه الله- للقرآن الكريم عداوة غيره، ولهذا قررت تخصيص أحواله ببحث مستقل حتى يأخذ حقه من العناية، والدراسة أسأل الله تعالى أن يعينني على إتمامه.

وقد قسمت بحثي هذا بعد هذه المقدمة إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أساليب كفار مكة في التحذير من سماع القرآن الكريم.

---

(١) سورة الإسراء الآية ٨٨.

المبحث الثاني: افتراءات كفار مكة على القرآن الكريم أثناء سماعهم له.

المبحث الثالث: اعترافات كفار مكة بربانية القرآن الكريم، وتأثرهم الشديد بسماعه.

وقد اكتفيت بإيراد الطبعات في قائمة المراجع نهاية البحث رغبة في عدم التكرار إلا إذا اعتمدت على أكثر من طبعة للكتاب الواحد فإني أبين ذلك في موضعه.

وقد بذلت قصارى جهدي في تحري الحقائق فإن أصبت فالفضل لله وحده، وإن أخطأت فحسبي أني اجتهدت، والكمال لله وحده، وأسأله تبارك وتعالى أن يتقبل عملي، وأن يغفر عن ذلتي.

وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث

المبحث الأول
أساليب كفار مكة في التحذير
من سماع القرآن الكريم

لما أحس كفار مكة بسلطان القرآن الكريم على النفوس، وبقـوة تـأثيره في القلوب لم يكن بإمكانهم إلا التفكير في منع سكان مكة والقادمين عليها من أهـالي القبائل الأخرى من الاتصال برسول الله ﷺ، وعدم تمكينهم من الاستماع إلى ما يتلوه ﷺ من قرآن. وذلك من خلال التفكير في العديد من الوسائل، والأسـاليب التي اخترعوها لهذا الغرض الخبيث، وكما يقول الخطابي: ... فكـم مـن عـدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهـم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً[(١)].

وفي المطالب الآتية عرض لهذه الأساليب الخبيثة، والمواقف الجبانة التي حـاول كفار مكة من خلالها وضع الحواجز والعراقيل المتعددة بين الناس وبـين الانتفـاع بسماع هذا القرآن الكريم، والاستفادة مما فيه من عظات، وعبر ....

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابي صـ٧٠

المطلب الأول

منع الناس من سماع القرآن الكريم واللغو فيه

رأى كفار قريش أن الأسلوب الأمثل في التعامل مع القرآن الكريم هو أن يمنعوا الناس من الاستماع إليه خوفاً من تأثرهم به، وإلى جانب ذلك قرروا – إذا أجبروا على سماعه لسبب من الأسباب- إحداث أصوات غريبة لا معنى لها كالتخليط في الكلام، أو التصفيق، ونحو ذلك من ألوان الشوشرة لأجل أن يقع قارئه في السهو، والغلط، أو أن يمنعوا أنفسهم بالاشتغال عن سماع قراءة القارئ بأي نوع من أنواع اللعب واللهو.

والعجيب أنهم أقنعوا أنفسهم بأن في هذه الأفعال – الطفولية – انتصار لهم على محمد ﷺ، وعلى دعوته !!

ولقد جاء في الحديث عن جابر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فقال ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي [١].

ولقد حكى القرآن الكريم أسلوبهم هذا في نصوصه الكريمة ومن هذا النصوص ما يأتي:

النص الأول:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[٢]، أي وقال الذين كفروا من مشركي

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود. كتاب السنة/ باب القرآن حديث ٤٧٣٤/جـ٢/٤٢٦، الترمذي كتاب فضائل القرآن باب ٢٤ حديث ٢٩٣٤، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب ٤/٢٢٤ أحمد ٣/٣٠٩، وغيرهم. وانظر في عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل كتاب السيرة النبوية لابن هشام ١/٣٠٦، وما بعدها.

(٢) سورة فصلت: الآية ٢٦.

قريش[1]، والمعنى قال الكفار بعضهم لبعض، أو قال أئمة الكفر منهم لعامتهم[2]، لا تسمعوا لهذا القرآن.

وفي الإشارة باسم الإشارة (هذا) تصغير، وتحقير منهم –قبحهم الله– لشأن القرآن، وسموه قرآنا وهم لا يؤمنون به على طريق الحكاية استهزاء وسخرية أيضاً

وجملة [والغوا فيه] بفتح الغين من لغِيَ بالكسر يلغى إذا تكلم باللغو وهو ما لا فائدة فيه، أو من لغى بكذا أي رمى به أي ارموا به وانبذوه، أو من لغا بالفتح يلغي بالفتح أيضاً[3].

قال الراغب: اللغو من الكلام ما لا يعتد به، وهو الذي يورد لا عن روية وفكر فيجري مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور[4].

وقيل في معنى [والغوا فيه] أي عارضوه باللغو والباطل، أو ارفعوا أصواتكم ليتشوش القارئ له. وقيل: الغوا فيه بالمكاء والتصدية والتصفيق والتخليط في الكلام حتى يصير لغوا. وقيل أكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول ، وقيل اجحدوه وانكروه، وقيل قعوا فيه وعيبوه[5].

وكلها أقوال متقاربة تجمع في أن مقصودهم من ذلك هو رفع أصواتهم بكلام باطل أو غير مفهوم ليقع تالي القرآن في السهو، والغلط، ولا يستفيد من قراءته أحد، أو ربما يمنع القارئ نفسه من الاستمرار في القراءة بسبب ذلك، ولأجل هذا قالوا {لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ}.

قال الفخر الرازي رحمه الله تعالى: "واعلم أن القوم علموا أن القرآن كلام كامل في المعنى، وفي اللفظ، وأن كل من سمعه وقف على جزالة ألفاظه، وأحاط

---

(١) معالم التنزيل للبغوي ٧/١٧٠ جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ١٢/٢٤.

(٢) روح المعاني للألوسي ١١٩/١٤ بتصرف.

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٥٢٣/٩.

(٤) المفردات في غريب القرآن صـ٤٥١.

(٥) تفسير الطبري ٢٤/١١٢ روح المعاني للألوسي ٢٤/٨، فتح القدير للشوكاني ٥١٤/٤ وغيرها

عقله بمعانيه، وقضى عقله بأنه كلام حق واجب القبول فدبروا تدبيراً في منع الناس عن استماعه فقال بعضهم لبعض لا تسمعوا ..."[١].

وقد فضحوا أنفسهم بهذا فضيحة لا مثل لها[٢]، لأنهم أيقنوا أن كل من يسمعه رق إليه[٣].

ولا يخفى أن في أعمالهم هذه دلالات واضحة على ضعفهم الشديد، وعجزهم المتناهي فلو كانت لهم قوة لاستمعوا إلى هذا القرآن، وحاوروا أهله، وعارضوهم لكن جبنهم في ذلك ظاهر، وخوفهم من الهزيمة المنكرة واضح.

قال الإمام ابن كثير: "هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن"[٤].

النص الثاني:

قوله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ ﴾[٥].

ومعنى [من ذكر] من طائفة نازلة من القرآن، والمعنى -كما يقول الإمام الطبري- ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس ويذكرهم به ويعظهم إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم[٦].

أي غافلة عنه قلوبهم لا يتدبرون حكمه ومواعظه وهذا يدل على تمكن الغفلة فيهم[٧].

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ١١٩/٢٧.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ١٧٩/١٧.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٧٧/٢٤.

(٤) تفسير ابن كثير ١٧٤/٧.

(٥) سورة الأنبياء، الآية ٢.

(٦) تفسير الطبري ٢/١٧.

(٧) التحرير والتنوير ٣٨/١٧ بتصرف.

لأن الانتفاع بما يسمع لا يكون إلا بما يرجع إلى القلب من تدبر وتفكر، وإذا كانوا عند استماعه لاعبين حصلوا على مجرد السماع الذي قد تشارك البهيمة فيه الإنسان[١].

وفي التعبير بقوله {مِنْ رَبِّهِمْ} دلالة على فضل هذه الآيات التي تنزل وشرفها، وكمال شناعة ما فعلوه عند سماعها[٢].

إنها صورة للنفوس الفارغة التي لا تعرف الجد فتلهو في أخطر المواقف، وتهزل في مواطن الجد، وتستهتر في مواقف القداسة، فالذكر الذي يأتيهم من ربهم فيستقبلونه لاعبين بلا وقار ولا تقديس[٣].

---

(١) التفسير الكبير للرازي ١٤١/٢٢.

(٢) تفسير أبو السعود ٥٤/٦ بتصرف.

(٣) في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ٢٣٦٧/٤.

موقفهم من قراءة
أبي بكر الصديق ﷺ

لما اشتد تعذيب كفار مكة بالمسلمين أراد أبو بكر ﷺ الخروج منها إلى أرض الحبشة فلقيه ابن الدغنة وأجاره، ويومها قال أشراف قريش لابن الدغنة...

(مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره[1]، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذف[2] عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسوا إلى ابن الدغنة فقدم إليهم فقالوا إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره.

فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وإن أبي إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد عليك ذمتك فإنا قد كرهنا أن نخفرك[3]، ولسنا بمقرين لأبي بكر الاستعلان...].

(١) بفناء داره: أي أمامها – أنظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٢٣٤/٧ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٤٧٧/٣.

(٢) أي يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد ينكسر – راجع فتح الباري ٢٣٤/٧.

(٣) خفرت الرجل: أجرته وحفظته وخفرته إذا كنت له خفيراً أي حامياً وكفيلاً وتخفرت به إذا استجرت به، وأخفرت الرجل إذا انقضت عهوده مامه والهمزة فيه للإزالة ... أنظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٥٢/٢.

وفيه أن أبا بكر قال لابن الدغنة [فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل ...][1]، وفي الحديث المذكور أيضاً قصة هجرته ﷺ مع النبي ﷺ إلى المدينة.

ولا يخفي ما في هذه العبارات من دلالات واضحة ، وصريحة على اعتراف مشركي مكة بإعجاز القرآن الكريم ، وشدة تأثيره في النفوس ، كما أنها تدل أيضاً على عجزهم المتناهي في مواجهة هذا القرآن العظيم .

(١) صحيح البخاري فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة حديث ٣٩٠٥.

المطلب الثاني

ظهور المنكر على وجوههم

وكان كفار مكة إذا قرئت عليهم السورة أو الآيات من القرآن تتغير وجوههم، ويظهر عليها آثار الإنكار الشديد ظهوراً لا يخفى على الرائي وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾[1].

والآية مستمرة مع ما سبقها من الآيات في الحديث عن المشركين.

وفي قوله تعالى: {تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ} كناية عن امتلاء نفوسهم من الإنكار والغيظ حتى تجاوز أثره بواطنهم فظهر على وجوههم[2]، فالمعنى أثر الإنكار من الكراهة وتعبيس الوجوه معروف عندهم[3].

قال بعض المفسرين: واعلم أن الوجوه كالمرائي فكل صورة من الإقرار والإنكار تظهر فيها فهي أثر أحوال الباطن وكل إناء يترشح بما فيه[4].

ومعنى (بينات) واضحات ظاهرات الدلالة، وفي هذا الوصف للآيات زيادة في تفظيع عبوس وجوههم عند سماعهم لها .

وللمفسرين في المنكر عبارات: أحدها قاله الكلبي تعرف في وجوههم الكراهية للقرآن ثانيها قال ابن عباس رضي الله عنهما التجبر والترفع وثالثها قال مقاتل أنكروا أن يكون من الله تعالى[5].

(١) سورة الحج الآية رقم ٧٢.

(٢) التحرير والتوير ٣٣٤/١٦.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ٤٥١/٥.

(٤) روح البيان للبروسوي ٦٠/٦.

(٥) التفسير الكبير للرازي ٦٧/٢٣ فتح القدير ٤٦٨/٣ وغيرها.

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال فكلها متقاربة لأن كفار مكة كانوا يكرهــون القرآن، ويستكبرون عن سماعه، وينكرون أن يكون من عند الله تعالى. ولا مانع من شمول قوله تعالى: { تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ} لكل ذلك.

وفي قوله تعالى: {يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} دلالة على شدة إنكارهم، وكرههم لسماع القرآن، ومعنى يسطون أي يبطشون من الســطوة أي البطش برفع اليد يقال سطابه[1]، فأصله القهر والغلبة، ولفلان ســطوة أي ســلط وقهر، يقال سطابه إذا بطش به بضرب أو شتم، أو أخذ باليد[2]، ولا يخفــى أن في ذلك دلالات واضحة على عجزهم لأنهم لا يناهضون الحجة بالحجة ولا يقرعــون الدليل بالدليل إنما يحاولون اللجوء إلى العنف بأنواعه.

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يرد عليهم بما يزيدهم غيظاً فقال: {قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} اى افاخبركم باســوأ من الذي فيكم من الغيظ على من يتلو عليكم آيات الله وهو النار التي أعــدها الله لكم.

---

(١) المفردات للراغب صـــ٢٣٢.

(٢) الدر المصون ١٦٧/٥ بتصرف.

تغيظهم من جهر
ابن مسعود ﷺ بالقرآن

وكان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود أنا قالوا: إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشرة يمنعونه من القوم إن أرادوه قال. دعوني فإن الله سيمنعني قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم رافعاً بها صوته {الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ} قال ثم استقبلها يقرؤها قال: فتأملوه فجعلوا يقولون. ماذا قال ابن أم عبد؟ قال ثم قالوا إنه ليتلوا بعض ما جاء به محمد فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه فقالوا له هذا الذي خشينا عليك فقال ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً قالوا لا حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون[1].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢٢١/١، وقال المحققون بالهامش إسناده صحيح متصل أ.هـ.

المطلب الثالث

المقتسمون، وخططهم

ومن الخطط الخبيثة التي تعاون أولئك الكفار، وتكاتفوا عليها في صد الناس عن القرآن الكريم اقتسامهم المهام فيما بينهم، وبخاصة في المناسبات التي تجتمع فيها القبائل بمكة؛ فقد سيطروا على مداخل مكة كلها، وقسموا أنفسهم في التواجد عليها لتحذير الناس من الاستماع للنبي ﷺ ، وإلى ذلك جاءت الإشارة بقوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١ ﴾ [١].

وقد اختلف في المقتسمين من هم؟ قال الراغب .. أي الذين تقاسموا شعب مكة ليصدوا عن سبيل الله من يريد رسول الله، وقيل الذين تحالفوا على كيده عليه الصلاة والسلام [٢]، وقد حكى أن عددهم يقرب من الأربعين[٣]، وقيل اثنى عشر رجلاً[٤]، وقيل هم ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم. فاقتسموا أعقاب مكة وأنقابها وفجاجها يقولون لمن دخلها: لا تغتروا بهذا الخارج فينا فإنه مجنون، وربما قالوا ساحر وربما قالوا شاعر وربما قالوا كاهن، فقيل لهم مقتسمين لأنهم اقتسموا هذه الطرق فأماتهم الله شر ميتة، وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حكماً على باب المسجد، فإذا سألوه عن النبي ﷺ قال صدق أولئك، وقيل إنهم قوم من كفار قريش اقتسموا كتاب الله، فجعلوا بعضه شعراً، وبعضه سحراً، وبعضه كهانة، وبعضه أساطير الأولين، وقيل هم أهل الكتاب، وسموا مقتسمين لأنهم كانوا يقتسمون القرآن استهزاء، فيقول بعضهم هذه السورة لي وهذه

---

(١) سورة الحجر الآيتان: ٩٠، ٩١.

(٢) المفردات في غريب القرآن صـ٤٠٤.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي ٢١١/١٩.

(٤) حكاه صاحب إرشاد العقل السليم ٩٠/٥.

السورة لك[١]، وقيل لأنهم قسموا القرآن واستهزءوا به فقالوا ذكر محمد البعوض والذباب والنمل والعنكبوت فقال بعضهم أنا صاحب البعوض، وقال آخر أنا صاحب النمل، وقال آخر أنا صاحب العنكبوت[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هم أهل الكتاب جزءوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه[٣]، وقيل لأن أهل الكتاب قسموا كتابهم وفرقوه وبددوه وحرفوه، وقيل المراد قوم صالح تقاسموا على قتله فسموا مقتسمين كما قال تعالى: ﴿ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ﴾ [٤]، وقيل هم قوم تقاسموا أيماناً تحالفوا عليها.

وقد ذكر المفسرون أسماء المقتسمين الستة عشر الذين اقتسموا أعقاب مكة وفجاجها لصد القادمين إليها عن الاستماع إلى رسول الله ﷺ ، وهؤلاء المقتسمون هم حنظلة بن أبي سفيان، وعتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وأخوه العاص، وأبو قيس بن الوليد، وقيس بن الفاكه، وزهير بن أمية، وهلال بن عبد الأسود، والسائب بن الصيفي، والنضر بن الحارث، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الحجاج، وأمية بن خلف، وأوس بن المغيرة[٥].

ومعنى {ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ عِضِينَ} الذين جعلوا القرآن أجزاء متفرقة، فقالوا كهانة، وقالوا أساطير الأولين إلى غير ذلك مما وصفوه به، وقيل معنى عضين ما أشار إليه المولى عز وجل بقوله: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٣٩/١٠.

(٢) حكاه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣٨٣/٨.

(٣) صحيح البخاري/ كتاب التفسير/ تفسير سورة الحجر باب قوله: {ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ عِضِينَ} حديث ٤٧٠٥، فتح الباري ٣٨٢/٨.

(٤) سورة النمل من الآية ٤٩.

(٥) روح المعاني للألوسي ٨١/١٤، التحرير والتنوير لابن عاشور ٨٦/١٤ وغيرها.

﴿ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ ﴾ [1]، خلاف من قال فيهم: ﴿ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ [2]، وقيل العضة والعضين في لغة قريش السحر: وهم يقولون للساحر عاضه، وللساحرة عاضهة[3]، ولم يرجع شيخ المفسرين الإمام الطبري قولاً من الأقوال السابقة في المراد من المقتسمين وكلها عنده محتملة [4].

---

(١) سورة البقرة من الآية ٨٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ٣٣٨ بتصرف، والآية من سورة آل عمران من الآية ١١٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٩/١٠ فتح الباري لابن حجر ٣٨٣/٨.

(٤) تفسير الطبري ٦٣/١٤ وما بعدها.

نموذج من قصة إسلام
الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ

وعلى أية حال فإن مؤامرات كبار كفرة قريش في صد القادمين إلى مكة عن الاستماع إلى النبي ﷺ لا شك في وجودها، وقد كانوا يحاولون بكل الوسائل إقناع أهل القبائل الأخرى بخطورة الاتصال برسول الله ﷺ .

جاء في قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، ومشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً، لبيباً. فقالوا له: يا طفيل .. إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل بين أظهرنا قد أعضل[1] بنا، وفرق جماعتنا، وإنما قوله كالسحرة يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه .. قال .. فو الله ما زالوا بي حتى أجمعت على أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً[2] فرقاً أن يبلغني من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه. قال: فغدوت المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة. قال فقمت قريباً منه فأبى إلا أن يسمعني بعض قوله، قال فسمعت كلاماً حسناً ... إلخ، وفيه أنه أسلم ﷺ [3].

وفي ترجمته من الإصابة أنه – ﷺ – أتى النبي ﷺ فأنشده من شعره فتلا النبي ﷺ الإخلاص والمعوذتين فأسلم في الحال[4].

---

(١) أصل العضل: المنع والشدة يقال أعضل بي الأمر إذا ضاقت عليه فيه الحيل النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢٥٤/٣.

(٢) الكرسف: القطن، النهاية في غريب الحديث والأثر ١٦٣/٤.

(٣) إمتاع الأسماع ٣٥٧/٤ وما بعدها، سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٤٥/١، وانظر بعض مؤامراتهم في الصد عن النبي ﷺ في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ٣٦٨٨/٦.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني ٤٢٤/٣.

المطلب الرابع

سبهم القرآن الكريم

ومن الأساليب الخبيثة التي استخدمها صناديد كفار مكة في إبعاد الناس عن القرآن الكريم، وعن الاستفادة مما فيه من عظات، وعبر، أنهم كانوا إذ سمعوا الرسول ﷺ يجهر بالقرآن سبوا هذا القرآن، وسبوا من أنزله، ومن جاء به، ولأجل هذا قال الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[1].

وخير تفسير لهذه الآية الكريمة قول ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ}، أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن: {وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} عن أصحابك فلا تسمعهم، {وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا}[2].

وفي رواية الإمام مسلم: {وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ} فيسمع المشركون قراءتك {وَلا تُخَافِتْ بِهَا} عن أصحابك أسمعهم القرآن، ولا تجهر ذلك الجهر{وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً} يقول بين الجهر والمخافتة[3].

وفي رواية ثالثة للترمذي: {وَلا تُخَافِتْ بِهَا} عن أصحابك بأن تسمعهم حتى يأخذوا عنك القرآن[1].

---

(١) سورة الإسراء الآية ١١٠.

(٢) صحيح البخاري/ كتاب التفسير ١٧ باب سورة بني إسرائيل ١٤ باب {وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا} حديث ٤٧٢٢، فتح الباري ٢٥٧/٨.

(٣) صحيح مسلم كتاب الصلاة ٣١ – باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والأسرار إذا خاف من الجهر مفسدة حديث ٤٤٦، شرح النووي ٤٠١/٢.

يقول الشوكاني رحمه الله عند تفسيرها: {وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ ولا تُخافِتْ بِهَا}، أي بقراءة صلاتك على حذف المضاف للعلم بأن الجهر والمخافتة من نعوت الصوت، لا من نعوت أفعال الصلاة فهو من إطلاق الكل وإرادة الجزء، يقال خفت صوته خفوتاً إذا انقطع كلامه وضعف وسكن، وخفت الزرع إذا ذبل، وخافت الرجل بقراءته. إذا لم يرفع بها صوته، وقيل معناه: {وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ} كلها {وَلا تُخَافِتْ بِهَا} كلها، والأولى أولى(٢).

ومما يؤكد هذا الترجيح أن طبيعة المشركين في تلك الفترة كانت هي الاستهزاء والسخرية بالقرآن الكريم، وقد نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن مجالستهم، وهم على هذه الحال قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾(٣).

قال مقاتل: كان المشركون بمكة إذا سمعوا القرآن من أصحاب النبي ﷺ خاضوا واستهزءوا، فقال المسلمون: لا تصلح لنا مجالستهم نخاف أن نخرج حين نسمع قولهم ونجالسهم فلا نعيب عليهم، فأنزل الله هذه الآية، وعن مجاهد في قوله: {وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا} قال: يستهزئون بها. نهى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن يقعد معهم إلا أن ينسى، فإذا ذكر فليقم وذلك قول الله: {فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ} وعن محمد بن سيرين أنه كان يرى أن هذه الآية نزلت في اهل الأهواء(٤).

---

(١) صحيح أخرجه الترمذي أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة بني إسرائيل حديث ٣١٥٦، شرح النووي ٥/٩٧.

(٢) فتح القدير للإمام الشوكاني ٣/٣٣١.

(٣) سورة الأنعام ٦٨.

(٤) فتح القدير ٢/١٣١.

وإلى هذه الآية الأخيرة(١)، جاءت الإشارة في قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾(٢).

(١) أعني قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا.....} الآية ٦٨ سورة الأنعام.

(٢) سورة النساء الآية ١٤٠.

المطلب الخامس

عواقب الإعراض

عن سماع القرآن الكريم

تكرر في القرآن الكريم التعبير بقوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ}[١]، بأسلوب الاستفهام التقريري عن المعرضين عن التذكير بآيات الله جل وعلا، بمعنى لا أحد أشد، ولا أكثر ظلماً من الذي إذا قرئت عليه آيات القرآن الكريم ليتعظ، وليعتبر فيقابل ذلك بالإعراض عنها، والتولي عن سماعها.

ومن النتائج السيئة، والعواقب الوخيمة لهذا الصنيع جعل الأكنة على القلوب والصمم في الآذان حتى لا تفقه الحق، وعدم الاهتداء أبداً كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾[٢].

ومنها انتقام الله جل وعلا من المعرض عن التذكرة كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٣].

ومنها كون المعرض كالحمار كما قال تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[٤].

ومنها الإنذار بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود كما قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾[٥].

---

(١) يراجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي مادة (ظلم) صـ٥٥٧.

(٢) سورة الكهف، الآية ٥٧.

(٣) سورة السجدة، الآية ٢٢.

(٤) سورة المدثر، الآية ٤٩ ، ٥٠.

(٥) سورة فصلت، الآية ١٣.

ومنها المعيشة الضنك والعمى كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[1].

ومنها سلكه العذاب الصعد كما قال تعالى: ﴿ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾[2].

ومنها تقييض القرناء من الشياطين كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[3].

إلى غير ذلك من النتائج السيئة والعواقب الوخيمة الناشئة عن الإعراض عن التذكير بآيات الله جل وعلا[4].

(١) سورة طه، الآية ١٢٤.

(٢) سورة الجن، الآية ١٧.

(٣) سورة الزخرف، الآية ٣٦.

(٤) أضواء البيان للشنقيطي ٤/١٤٢، وما بعدها بتصرف.

المبحث الثاني

افتراءات كفار مكة

على القرآن الكريم أثناء سماعهم له

ومن جرأة كفار قريش، وقسوة قلوبهم، أنهم كانوا في أجدر الأوقات الموجبة لإيمانهم، وهي لحظات استماعهم لآيات القرآن تتلى عليهم بما فيها من قوة، ووضوح، ودلائل متعددة على أنها حق من عند الله تعالى .... في هذه اللحظات التي تهتز لها الجبال الشوامخ كانوا يكابرون، ويلصقون التهم المجردة عن أي دليل بهذا القرآن الكريم، وما هي أساليب مراوغة يتنصلون بها عن هزائمهم المتكررة تجاه القرآن ليبرروا بها عجزهم أمام الآخرين كيف لا وقد سلكوا مع الرسول ﷺ مسالك شتى ليرجع عن طريق القرآن ، وليقطع صلته بالله رب العالمين فساوموه ﷺ بالمال ، وعرضوا عليه الملك ، وانتقلوا إلى مقاطعته ومن معه حتى يموتوا جوعاً، واتهموه بالسحر ، والجنون ، والكهانة ، والشعر ، وتآمروا فى دار الندوة على حبسه ، او قتله ، أو إخراجه .

ولقد كان في استماعهم لآيات القرآن كفاية لإقناعهم بصدق القرآن، وإيمانهم بالله رب العالمين ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[1].

ولكنه قلب الكافر الجاحد الذي لا يعرف الحق، ولا يدخله إلا الهوى، وكيف ينتفع هؤلاء بالقرآن ، وقد أصدروا حكمهم المسبق ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[2]. أي مهما كان فيه من عظات متكررة، وعبر بليغة ....

---

(١) سورة العنكبوت من الآية ٥١.

(٢) سورة سبأ من الآية ٣١.

الحق الذي لا يشك فيه المتتبع لأحوال هؤلاء الكفار أن استماعهم لآيات القرآن لم يكن سماع تفهم، وتدبر ولذلك لم يتأثروا بسماعها، ولم ينتفعوا بتلاوتها، ولهذا وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾[1]، أي أن آذانهم لا تعمل -وإن كانت موجودة- لكنها متوقفة عن الحركة، وقال تعالى: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[2]، ولهذا سوف يقرون يوم القيامة بهذه الحقيقة {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}[3].

والعجيب أن هذه الأباطيل قد نفاها كفار مكة بأنفسهم عن القرآن العظيم، عندما سيطرت قوة هذا القرآن على مشاعرهم، وتمكنت من نفوسهم فمنهم من آمن ومنهم من كفر، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وفي السطور الآتية محاولة للتعرف على جحود كفار مكة، ومواقفهم أثناء تلاوة آيات الله البينات على مسامعهم.

(١) سورة الأعراف من الآية ١٩٥.

(٢) سورة الفرقان من الآية ٤٤.

(٣) سورة الملك الآية ١٠.

مطالبتهم تبديل القرآن الكريم أو تحريفه

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾[1].

وهذا لون آخر من ألوان تعنت كفار مكة[2]، وتلاعبهم بآيات القرآن الكريم.

قال مقاتل هم خمسة نفر: عبد الله بن أمية المخزومي، والوليد بن المغيرة، ومكرز بن حفص، وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري، والعاصي بن عامر ابن هاشم[3].

وقال ابن الجوزي: اختلفوا فيمن نزلت على قولين أحدهما أنها نزلت في المستهزئين بالقرآن من أهل مكة قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني: أنها نزلت في مشركي مكة قاله مجاهد وقتادة[4].

ومعنى الآية الكريمة ... وإذا قرئت على مسامع هؤلاء الكفار آيات القرآن الكريم، ووصفت الآيات بـ [بينات] لزيادة التعجب من طلبهم؛ فقد طلبوا من الرسول ﷺ الإتيان بكتاب آخر جديد غير هذا القرآن، أو أن يحذف بعض آيات هذا القرآن الموجود، ويضع مكانها آيات أخرى توافق إرادتهم، وتتمشى مع أغراضهم. وقد قالوا ذلك لما سمعوا ما غاظهم فيما تلاه عليهم في القرآن من ذم الأوثان وعبادتها وغير ذلك.

قال المفسرون: سألوه إسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور: وقيل سألوه أن يسقط ما فيه من عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم؛ وقيل سألوه أن يحول الوعد وعيدا والوعيد وعداً والحرام حلالاً والحلال حراماً[1].

---

(١) سورة يونس الآية ١٥.

(٢) قال قتادة ومجاهد يعني مشركي مكة البغوي ٤/٢٢٥، أسباب النزول للواحدي ص ١٧٦.

(٣) معالم التنزيل للبغوي ٤/١٢٥، أسباب النزول للواحدي ص ١٧٦.

(٤) زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي ٤/١٤.

وفي قوله تعالى: {قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي} قيل إنه صلى الله عليه وآله وسلم نفي عن نفسه أسهل القسمين ليكون دليلاً على نفـي أصـعبهما بالطريق الأولى. وهذا منه صلى الله عليه وآله وسلم من باب مجاراة السفهاء، إذ لا يصدر مثل هذا الاقتراح عن العقلاء[٢].

يقول الشيخ الزرقاني : —

(إن أعداء الإسلام طلبوا من النبي ﷺ أن يأتي بقرآن غير هذا القرآن أو أن يبدله فلم يفعل ، وما ذاك إلا لأن القرآن ليس كلامه ، بل هو خارج عن طوقـه ، آت من فوقه ، ولو كان كلامه لاستطاع أن يأتي بغيره وأن يبدله حين اقترحوا عليه ، وحينئذ يكتب أنصارا إلى أنصاره ، ويضم أعوانا إلى أعوانه ، ويكون ذلك أروج لدعوته التي يحرص علي نجاحها ، لكنه أعلن عجزه عن إجابـة هـذه المقترحـات وأبدي مخاوفه إن هو أقدم على هذا الذي سألوه ، وتنصل من نسبة القرآن إليه مع أنه الفخر كل الفخر ....)[٣]

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٣/٨، فتح القدير للشوكاني ٤٣٠/٢.

(٢) فتح القدير للشوكاني ٤٣٠/٢.

(٣) مناهل العرفان ٢ / ٤٠٢ .

افتخارهم بحظوظ الدنيا

وكان المترفون من مشركي مكة إذا تليت عليهم آيات القرآن يكابرون، ويزعمون بما عندهم من متاع الدنيا وزخارفها أنهم أفضل من المسلمين ويقولون للمؤمنين لو كنتم على الحق لكان حالكم في الدنيا أطيب من حالنا قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ ﴾[1]، والضمير في (عليهم) يعود على الكفار، لأن الآيات السابقة تتحدث عنهم، و{الَّذِينَ كَفَرُوا} يعني مشركي قريش[2]، والمراد بالفريقين المؤمنون والكافرون.

والمعنى ... وإذا قرئت على هؤلاء الكفرة آيات القرآن الواضحات الظاهرات الإعجاز تعللوا بالدنيا، وقالوا بكل جرأة للمؤمنين {أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ} نحن أو أنتم {خَيْرٌ مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً} أي أكبر جاهاً، وأحسن مسكناً، وأكرم مجلساً، وأكثر أعواناً؟!

والندي والنادي واحد وهو مجلس القوم ومتحدثهم ومنه قيل دار الندوة للدار التي كان المشركون يجلسون فيها ويتشاورون في رسول الله ﷺ، وقيل هو مشتق من الندى، وهو الكرم؛ لأن الكرماء يجتمعون فيه[3].

والمعنى كما قال البيضاوي أنهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها، أخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا، والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم[4].

---

(١) سورة مريم الآية ٧٣.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٥/٢٥٨.

(٣) الدرر المصون للسمين الحلبي ٧/٦٢٨، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ٤٨٧.

(٤) تفسير البيضاوي ٢/٢٠.

ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: { قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} للإشعار بأن كفرهم هو السبب لصدور هذا القول عنهم، وقيل المراد بالذين كفروا هنا هم المتمردون المصرون منهم[١]، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾[٢].

وصدق الله حيث يقول: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦ ﴾[٣].

(١) فتح القدير للشوكاني ٣/٣٤٧ وغيره.

(٢) سورة الأحقاف، من الآية ١١.

(٣) سورة المؤمنون الآيتان ٥٥ ، ٥٦.

إنكارهم البعث

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (١).

أي ومن صفات كفار مكة أنهم إذا ووجهوا بتلاوة آيات القرآن الكريم، وما فيها من عظات متكررة، ودلائل متعددة على إمكان البعث والنشور لم يعارضوها بما يبطلها ولم يكن لهم حجة على الإطلاق إلا أن خاطبوا النبي ﷺ والمؤمنين بقولهم الذي يستحيل أن يكون حجة وقالوا: {ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}، أي هاتوا لنا الأموات من آبائنا وأجدادنا ليكون ذلك دليلاً على صحة وجود البعث.

وفي قوله تعالى: {مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا} تسجيل عليهم بالتلجلج عن الحجة البينة. والمصير إلى سلاح العاجز من المكابرة والخروج عن دائرة البحث(٢).

وإنما سماها المولى عز وجل حجة للتهكم بهم، أو بناء على زعمهم واعتقادهم الفاسد في أنها حجة، أو باعتبار أنهم ذكروها في معرض الاحتجاج بها أو أن المقصود أن من كانت حجتهم هذه فليس لهم حجة(٣).

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٤)، فسمى الداحضة حجة(٥).

---

(١) سورة الجاثية، الآية ٢٥.

(٢) التحرير والتنوير ٣٦٤/٢٥

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٧٠/٢٧ بتصرف.

(٤) سورة الشورى من الآية ١٦.

(٥) راجع المفردات للراغب صـ١٠٨

دعواهم بأن القرآن سحر

ومن ضلالات الكفار المكيين، وافتراءاتهم على القرآن الكريم، أنهم كانوا إذا سمعوا آياته وما فيها من خوارق العادات تقرأ عليهم سارعوا إلى القول بأنها سحر لا خفاء فيه.

ولقد حكى القرآن الكريم هذا الموقف في العديد من آياته التي منها ما يأتي:

النص الأول:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ (1)، والحق هو الآيات المتلوة، ومعنى لما جاءهم أي في وقت مجيئه إياهم، أي أنهم بادروا أول ما سمعوا الآيات من غير تأمل.

وجاء التعبير بقوله: {قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} للتسجيل عليهم بأن كفرهم هو السبب في قولهم المذكور وإلا فكيف كذبوا بالقرآن، ووصفوه بأنه سحر مبين في أجدر الأوقات بأن يصدقوه فيها ويؤمنوا به عندها، وهي لحظات استماعهم للتلاوة تتلى عليهم.

النص الثاني:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ (2).

والملاحظ هنا أنهم لما سمعوا الآيات تتلى عليهم أنكروها بحجة أنها تحارهم في تقليدهم الأعمى للآباء، والأجداد، وتقديس ما قدسوه دون وعي أو بصيرة.

---

(1) سورة الأحقاف، الآية ٧.

(2) سورة سبأ، الآية ٤٣.

قال أبو السعود: "وإضافة الآباء إلى المخاطبين لا إلى أنفسهم لتحريك عـرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد"[1].

وقالوا أيضاً {مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرىً} أي كذب مختلق في إسناده إلى الله تعالى، {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ}، وقد سـبق المعنى المراد منها.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١٣٨/٧.

المبحث الثالث

اعترافات كفار مكة بربانية القرآن الكريم، وتأثرهم الشديد بسماعه

قد يجول بالخاطر تناقض هذا العنوان مع ما سبق من عناوين البحث إذ كيف يتأثر كفار مكة بالقرآن الكريم، وقد عادوه كل العداوة، فسبوه، وجاهدوا بكل الوسائل، والطرق في منع الناس حتى من الاستماع إليه؟!

ولا وجه للغرابة لأن القضية كلها تتلخص في كبرهم وعنادهم، وحسدهم للنبي ﷺ ، وتعصبهم الشديد للآباء، والأجداد، وفي تقليدهم الأعمى لما كانوا عليه من عقائد، وأفكار، ولأجل ذلك تخبطوا في مواقفهم من القرآن الكريم، أما إذا ترك الواحد منهم نفسه لسجيتها، وفطرها، ولم تأخذه العزة بالإثم، والعناد الأحمق فإنه يقر بصدق القرآن، وأنه الحق من عند الله تعالى .

كيف لا .. وقد عد بعض العلماء من وجوه إعجاز هذا القرآن [الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإبانة خطره وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفوراً] [١].

ويقول السيوطي: [وهذه الروعة قد اعترف بها جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به ومنهم من كفر] [٢].

يقول الخطابي: [وقد كانوا [٣] يجدون له وقعاً في القلوب، وقرعاً في النفوس، يريبهم ويحيرهم، فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعاً من الاعتراف [٤].

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي صـ٢٤٢. أمثال ونماذج بشرية في القرآن العظيم تأليف احمد بن محمد طاحون ٤ / ٣٦٣ .

(٢) المصدر السابق صـ٢٤٢، وما بعدها.

(٣) أي كفار مكة.

(٤) بيان إعجاز القرآن للخطابي صـ٦٦.

أبو سفيان، وأبو جهل، والأخنس
في دجى الليل يستمعون خفية للقرآن

روى أن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بن زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنوا عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذا؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه قال فقام عنه الأخنس وتركه[1].

لقد استولي القرآن علي مشاعر السادة الفصحاء ، ولكن الكبر ، والعناد والعصبية الجاهلية هو الذي منعهم من الإيمان .

---

(١) رسالة بيان إعجاز القرآن للخطابي طبعه دار المأمون للتراث بدمشق صـ١٢٢، ١٢٣، وانظر القصة أيضاً في دلائل النبوة للبيهقي، باب اعتراف مشركي قريش ... إلخ ٢/٢٠٦، السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٢١.

تأثر الوليد بن المغيرة، ومدحه القرآن الكريم

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم! إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً. قال: لم؟ قال ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال فقل فيه قولاً يبلغ قومك إنك منكر له [أو كاره له] قال وماذا أقول فو الله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلا، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني أفكر فيه، قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً}[1].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز وأنه لا يشبه شيئاً من لغاتهم مع كونهم من أهل اللغة وأرباب اللسان ١٩٨/٢، والحاكم في المستدرك ٥٠٦/٢، وقال هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه، وانظر السيرة النبوية لابن هشام ١٨٩/١، الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني صـ١٢٢، إعجاز القرآن للشيخ عبد الكريم الخطيب صـ٢١، وما بعدها.

تأثر عتبة بن ربيعة بسورة فصلت

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال أبو جهل والملأ من قريش: لقد انتشر علينا أمر محمد فلو التمستم رجلاً عالماً بالسحر والكهانة والشعر فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة لقد سمعت بقول السحرة والكهانة والشعر وعلمت من ذلك علماً، وما يخفى علي إن كان كذلك فأتاه فلما أتاه قال له عتبة يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله؟ فلم يجبه قال: فيم تشتم آلهتنا، وتضلل آباءنا فإن كنت إنما بك الرئاسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأسنا ما بقيت، وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي أبيات قريش شئت، وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغني بها أنت وعقبك من بعدك ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم، فلما فرغ قال رسول الله ﷺ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {حم . تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ... }، فقرأ حتى بلغ {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}، فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم.

فقال أبو جهل: يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، انطلقوا بنا إليه فأتوه فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما حسبنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب وقال والله لا أكلم محمد أبداً والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً ولكني أتيته فقص عليهم القصة فأجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة قرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {حم . تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ... }، حتى بلغ فقال: {....أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}، فأمسكت بفيه وناشدته

الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن يترل بكم العذاب[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "لما قرأ النبي ﷺ على عتبة بن ربيعة {حم . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} أتى أصحابه فقال لهم يا قوم أطيعوني في هذا اليوم واعصوني فيما بعده فو الله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذناي قط كلاماً مثله وما دريت ما أرد عليه[2].

قال الشوكاني .... وفي هذا الباب روايات تدل على اجتماع قريش وإرسالهم عتبة بن ربيعة وتلاوته ﷺ أول هذه السورة عليه[3].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي، باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز ... إلخ ٢٠٢/٢، وأخرجه البغوي في التفسير ١٦٧/٧، وأنظر الرسالة الشافية للجرجاني صـ١٢٣، معترك الإقران في إعجاز القرآن صـ٢٤٣.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي، باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز وإنه لا يشبه شيئاً من لغاقم ... إلخ ٢٠٦/٢، وأنظر بيان إعجاز القرآن للخطابي صـ٧٠.

(٣) فتح القدير ٥٠٤/٤.

موقف جبير بن مطعم ﷺ
قبل إسلامه لما سمع سورة الطور

عن جبير بن مطعم ﷺ قال: "سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾، كاد قلبي أن يطير "[1].

وفي بعض ألفاظه: فلما سمعته قرأ: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} خلت أن فؤادي قد انصدع.

يقول الإمام ابن كثير معلقاً على هذا الحديث: "وكان جبير لما سمع هذا بعد مشركاً على دين قومه وإنما كان قدم في فداء الأساري بعد بدر، وناهيك بمن تؤثر قراءته في المشرك المصر على الكفر، فكان هذا سبب هدايته، ولهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوع من القلب"[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الطور حديث ٤٨٥٤.

(٢) كتاب فضائل القرآن للإمام ابن كثير تحقيق أبو اسحاق الحويني صـ١٩٤.

سجود المشركين عند سماعهم لسورة النجم

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس(١).

وعن عبد الله –ابن مسعود– ﷺ قال أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم قال فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف(٢).

قال ابن حجر: وقد جزم الواقدي بأنها –أي هذه القصة– كانت في رمضان سنة خمس وكانت المهاجرة الأولى إلى الحبشة خرجت في شهر رجب فلما بلغهم ذلك رجعوا فوجدوهم على حالهم من الكفر فهاجروا الثانية(٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النجم باب فاسجد والله واعبدوا حديث ٤٨٦١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النجم، باب فاسجدوا لله واعبدوا حديث ٤٨٦٣.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٤٩٩/٨، وانظر لذكر من عاد من أرض الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة ... السيرة النبوية لابن هشام ٢٥٥/١.

موقف عمر بن الخطاب ﷺ قبل إسلامه
لما سمع سورة الحاقة، وسوراً أخرى

يقول عمر بن الخطاب ﷺ : خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال: فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال فقرأ: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ}، قال: قلت كاهن، قال: ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ .. إلى آخر السورة﴾ ، قال فوقع الإسلام في قلبي كل موقع[1].

قال ابن كثير بعد إيراده لهذا الحديث: (فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب ﷺ)[2].

ورويت قصة أخرى طويلة في سبب إسلامه ﷺ وأنه سمع أوائل سورة طـــه وتأثر بها، وذلك عند أخته فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها في بيت زوجها سعيد بن زيد ﷺ [3].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٦٢/١ برقم ١٠٧ طبعه دار الرسالة، وأورده والذهبي في تاريخ الإسلام ٥٦٩/١ والإمام ابن كثير في التفسير ٤٤٥/٤ والحافظ ابن حجر في الإصابة ٢٨٦/٤، وسكتوا عليه لكن عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٢/٩ للطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي [ورجاله ثقـــات إلا أن شريح بن عبيد لم يدرك عمر] أ. هـــ.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٤٥/٤.

(٣) أحمد ٢٧٩/١، دلائل النبوة للبيهقي ٢١٩/٢، الحاكم في المستدرك ٥٩/٤، السيرة النبوية لابن هشام ٢٤٠/١، وما بعدها، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٦٨/٣، بيان إعجـــاز القـــرآن للخطـــابي صـــ٧٠ تاريخ الإسلام للذهبي ٥٧٠/١ ، إمتاع الأسماع للمقريزي ٣٥٩/٤، وفيه القاسم بن عثمان البصري، قال عنه ابن حجر في لسان الميزان ٤٦٣/٤ [حدث عنه اسحاق الأزرق بمتن محفوظ وبقصة

وفي رواية أنه ﷺ سمع مع أوائل سورة طه أوائل سورة التكوير[١]، وفي رواية أنه ﷺ سمع أوائل سورة الحديد[٢]، وفي رواية أنه ﷺ سمع القرآن دون تحديد لسورة من سورة[٣].

وعلى أي حال فهذه الروايات يشهد بعضها لبعض، وتتفق جميعها في أن سماع الفاروق ﷺ للقرآن الكريم كان له الأثر الكبير في هدايته وخروجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بالله رب العالمين.

إسلام عمر رهي منكرة جداً] أ. هـ والعجيب أن ابن حجر نفسه ذكر في الإصابة في ترجمة سعيد بن زيد رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أسلم في بيت سعيد.

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٢/٢٢٠، ٢٢١.

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل ١/٢٨٥ وما بعدها، تاريخ الإسلام للذهبي ١/٥٧٢.

(٣) فضائل الصحابة للإمام أحمد ١/٢٨٣ وما بعدها، السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٤٢، إمتاع الأسماع للمقريزي ٤/٣٦١.

موقف عمرو بن العاص ﷺ
مع سورة العصر

ذكروا أن عمرو بن العاص وفد إلى مسيلمة الكذاب وذلك بعدما بعث رسول الله ﷺ ، وقبل أن يسلم عمرو فقال له مسيلمة ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة؟ فقال لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال وما هي؟ فقال: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ ، ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال وقد أنزل على مثلها، فقال له عمرو وما هو؟ فقال: يا وبر يا وبر إنما أنت أذنان وصدر وسائرك حفر نقر، ثم قال كيف ترى يا عمرو فقال له عمرو؟ والله إنك لتعلم أني أعلم أنت تكذب.

قال الإمام ابن كثير (فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهذيان ما يعارض بـه القرآن . فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في هذا الزمان)[1].

حقا ... فأين هذه الكلمات السوقية الركيكة من الفاظ القـرآن الرفيعـة ، ومعانيه العالية ؟ وأين محاكاة الببغاء من فصاحة الإنسان ؟![2]

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥٨٥/٤.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ لزرقاني ٢ / ٣٣٤ بتصرف .

مراجع البحث

مرتبة أبجدياً بعد القرآن الكريم

١. القرآن الكريم – جل من أنزله.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم للإمام أبي السعود – طبعة إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن للشنقيطي – طبعة مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤. إعجاز القرآن للشيخ عبد الكريم الخطيب – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٥. إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع تأليف تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي – تحقيق محمد عبد الحميد النميسي – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٦. الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني – مطبعة السعادة.

٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ الذهبي – تحقيق الدكتور بشار عواد – طبعة دار الغرب الإسلامي – بيروت – الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٨. تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٩. التحرير والتنوير لابن عاشور – طبعة الدار التونسية.

١٠. التفسير الكبير للفخر الرازي – طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثالثة.

١١. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القادر الجرجاني – تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام – الطبعة الثانية – ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م – دار المعارف بمصر.

١٢. الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

١٣. حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي – المكتبة الإسلامية – محمد أزمير بتركيا.

١٤. دلائل النبوة للبيهقي – تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

١٥. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي – تحقيق الشيخ محمد عوض – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤١٤هـ.

١٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطي – طبعة دار المعرفة بيروت – لبنان.

١٧. روح البيان للبروسوي – طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي مكتبة دار التراث – طبعة المكتب الإسلامي.

١٩. زاد المسير في التفسير للإمام ابن الجوزي – المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بدمشق وبيروت – الطبعة الأولى.

٢٠. سنن أبي داوود للإمام الحافظ المصنف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي – تحقيق صدقي جميل العطار – طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٢١. سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي مراجعة وضبط صدقي محمد جميل العطار – طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٢٢. سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي أشرف على التحقيق شعيب الأرنؤوط – طبعة دار الرسالة.

٢٣. السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام – تحقيق جمال ثابت – طبعة دار الحديث بالقاهرة – ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

٢٤. شرح رسالة بيان إعجاز القرآن للخطابي للدكتور عمر محمد عمر بحاذق – طبعة دار المأمون للتراث بدمشق.

٢٥. صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، طبعة دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٢٦. الطبقات الكبرى لابن سعد – طبعة دار صادر للطباعة والنشر – بيروت – ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م.

٢٧ فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني طبعة دار المعرفة.

٢٨. فتح القدير للشيخ محمد بن علي بن محمد الشوكاني – دار المعرفة – بيروت – لبنان.

٢٩ فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل – طبعة مؤسسة الرسالة.

٣٠. فضائل القرآن للإمام ابن كثير تحقيق أبو إسحاق الحويني – طبعة دار الرسالة.

٣١. في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب – طبعة دار الشروق – بالقاهرة – الطبعة العاشرة – ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣٢. لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلاني – طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

٣٣ مجمع الزوائد للإمام ابن حجر الهيثمي – طبعة دار الكتاب العربي.

٣٤. مسند أبي يعلي الموصلي – طبعة دار المأمون للتراث – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٣٥. مسند البزار للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو البزار تحقيق دكتور محفوظ الرحمن زين الله – مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة – الطبعة الأولى – ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٣٦. معالم التنزيل للإمام البغوي – تحقيق مجموعة من أهل العلم – طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض – ١٤١٢هـ.

٣٧. معترك الأقران في إعجاز القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي – تحقيق علي محمد البجاوي – طبعة دار الفكر العربي.

٣٨. المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري وبهامشه التلخيص للذهبي – طبعة دار الفكر – ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٣٩. المسند للإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال – طبعة دار صادر – بيروت.

٤٠. المسند للإمام أحمد بن حنبل – أشرف على تحقيقه الشيخ شعيب الأرنؤوط – طبعة مؤسسة الرسالة.

٤١. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشيه المصحف الشريف – طبعة دار الحديث بالقاهرة.

٤٢. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني تحقيق محمد سيد كيلاني – طبعة دار المعرفة – بيروت – لبنان.

٤٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام نظم الدين البقاعي – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٤. النكت والعيون للإمام الماوردي – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٥. النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين ابن الأثير – تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي – طبعة دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه.

فهرست الموضوعات